

نصوص مختارة (18)

ما هذَا
يُدْرِسُ عَلَمُ التَّفْسِيرِ!

قال الشّيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي في حفل ختم رفيق دربه الإمام عبد الحميد ابن باديس -رحمهما الله- تف سيره لكتاب الله سنة (١٩٣٨م):

"هذا هو اليوم الذي يختتم فيه إمام سلفي تفسير كتاب الله تفسيراً سلفياً ليرجع الم سلمون إلى فهمه فهمَا سلفياً، في وقتٍ طغتْ فيه المادة على الروح ولعب فيه الهوى بالتفكير، وهفتْ فيه العاطفة بالعقل، ودخلتْ فيه على الم سلم دخائل الزيف في عقائده وأخلاقه وأفكاره، وفي أمة تقطعتْ صلاتها بالسلف وضعف تقديرها للقرآن، فأصبح ملهاة آذان ومشغلة لسان، وأصبح حفاظها يقرأونه للتبرّك أو يتجرّون به في المقابر، وعواشه ينزلونه منزلة الب صل والكراث في ستة شفون بحروفه من أمراض سببتها الحرارة أو جلبتها البرودة، وعلماؤها يدر سونه بلغة الم صطلحات العرفية، ويتناولونه بأذهان ح شيت بالأفكار الطائفية، والتع صبات المذهبية، والم حامل الجدلية، والتوجيهات اللفظية، وبكتب ملئت بالاسرائيليات المصنوعة والأثار الموضعية والنظريات؛ والطلبة -وهم صرعى هذه الفتنة- يتلقونه بأسنة جافت البيان العربي وصرفتها العجمة

في منهاج غير منهاج العرب، فف سد الذوق واحتلَّ الله صور - وأفكاره
غطَّى عليها الجمود و سدَّ عليها منافذ التفكير - وبنفس ركبها الملل
والأسأم، فر ضيَّتْ بِ سماع مالا يُفهم وتلقى ما لا يُعقل، وهان الزمان في
حسابها فأصبحتْ تنفق منه جزافاً، واحتلَّ تقدير الأشياء عندها فأصبح
كل مقرؤء علمًا وكل قارئ عالمًا.

وأ شهدُ؟ لقد كنتُ ضيفاً بتونس منذ سبع عشرة سنة، فقيل لي عن
عالم من مشايخ جامع الزيتونة ومن أبعدهم صيتاً في عالم التدرис: "إنه
يُقرئ التفسير"؛ فشهدتُ يوماً درسه لا كون فكرة عن دراسة التفسير في
ذلك المعهد الجليل؛ وكنتُ معنِّياً بهذا البحث وجد سُتُّ إليه أكثر من
نصف ساعة، فوالذي نفسي بيده ما سمعتُ منه كلمةً واحدةً من الآية
التي موضوع الدرس ولا لمحتُ أمارة ولا إشارة تدلُّ على أنَّ الدرس في
التفسير؛ وما كان كل الذي سمعتُ إلا حكاية لجدل عنيف وتمثيلاً
لمعركة لفظية م ستعرة بين الـ سيد الجرجاني وعبد الحكيم حول عبارة
لعلها لمفسر من المفسرين إلا صطلاحين، ثم إنَّه ضلتُ الحصة وقام
الطلبة الم ساكين يتغشرون، تبدو عليهم سيماء التعب والملل والخيبة،
*وقدمتُ أنا م ستيقيناً أنَّ هذه الطريقة في التفسير هي أكبر الحجب التي

حجبٌ الم سلمين عن فهم كتاب الله ثم زهدتهم فيه و صدتهم عن
مواردهُ^{*}"اهـ.

[مجلة «الشهاب») | (الجزء الرابع، المجلد الرابع عشر، جوان-جويلية
].(٢٧٧، ١٩٣٨، ص